## الكتاب الثالث والعشرون

# الرؤية الكونية الحضارية القرآنية:
# المنطلق الأساس للإصلاح الإنساني[١]

**تأليف أ. د. عبد الحميد أحمد أبو سليمان**
**تحليل وعرض أ. د / محمد قاسم المنسي**
**أستاذ الشريعة الإسلامية كلية دار العلوم ـ جامعة القاهرة**

**مقدمة:**

عَـرَّف الفقهـاء الرؤيـة بإبـصار هـلال رمـضان لأول ليلـة منـه، وفي الحـديث الشريف: «**صوموا لرؤيته...**» لكن الدراسات الإستراتيجية الحديثة اعتبرت الرؤية الطموحـات المنظمـة المأمولـة لمـا يـأتي، والتـي لا يمكـن تحققهـا – غالبًـا – لفقـدان مواردها.

لكن الرؤية القرآنية لا تمثل طموحًـا مـأمولًا إنـما تعني العلـم والتبـصر بـالأمور بدرجة تقـارب اليقـين وتقطـع الـشك. وعـلى نحـو مـن ذلـك يريـد الباحـث الكـريم الأستاذ الدكتور عبد الحميد أبـو سـليمان أن يبـصر الأمـة بمنطـق الإصـلاح الإنـساني بالتصور القرآني الذي غاب عنها كثيرًا في متاهات المـوروث ؛ رغـم وضـوحه وقـرب مناله.

إن الرؤية القرآنية للكون والكائن والمكون رؤية عالمية تجمع بين المثالية والواقعية وتراعي الثابت والمتغير وتحمل من مبادئ التوحيد والعدل والحرية والمسئولية والسلام والإعمار والكمال والجمال ما يجعل البشرية على درجة سواء، فلا تمايز ولا تفاوت إلا بما وهب الله الناس ابتلاءً واختبارًا، لا علوًا واستكبارًا، قال

(١) الكتاب طبعة المعهد العالمي للفكر الإسلامي ودار السلام بالقاهرة ط (١) ١٤٣٠هـ ٢٠٠٩م

تعالى: ﴿ وَأَقْسَمُوا۟ بِٱللَّهِ جَهْدَ أَيْمَٰنِهِمْ لَئِن جَآءَهُمْ نَذِيرٌ لَّيَكُونُنَّ أَهْدَىٰ مِنْ إِحْدَى ٱلْأُمَمِ ۖ فَلَمَّا جَآءَهُمْ نَذِيرٌ مَّا زَادَهُمْ إِلَّا نُفُورًا ﴿٤٢﴾ ٱسْتِكْبَارًا فِى ٱلْأَرْضِ وَمَكْرَ ٱلسَّيِّئِ ۚ وَلَا يَحِيقُ ٱلْمَكْرُ ٱلسَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِۦ ۚ فَهَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا سُنَّتَ ٱلْأَوَّلِينَ ۚ فَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَبْدِيلًا ۖ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَحْوِيلًا ﴾ [فاطر:٤٢،٤٣].

إن إعطاء البشر تصورًا قرآنيًا حضاريًا أمر جد عسير، لكنه يسير على من يسَّره الله عليه، وهو ما قدمه أ. د/ عبد الحميد أبو سليمان في كتابه الرؤية الكونية الحضارية القرآنية، والذي نقف أمامه بالتحليل والنقد والله المستعان من خلال ما يلي: -

**أولًا: خلاصة الدراسة.**

**ثانيًا: رؤية تحليلية نقدية للدراسة.**

**أولاً: ملخص البحث** :

بدأ الباحث الكريم والمفكر الجليل كتابه بمقدمه تبين سر الدراسة وباعثها حيث الهم القديم المتجه نحو السياسات الإسلامية والنظريات الفكرية التي شغلت الباحث وحاول الكشف عنها بكافة أبعادها السياسية والاقتصادية وعن المنهجية الضابطة لتلك النظريات والعلاقات منذ كان طالبًا - بجامعة القاهرة كلية التجارة - قسم العلوم السياسية عام ١٩٦٠م.

وأطروحته للماجستير عن السياسة البريطانية في عدن (اليمن) والمحميات بين عامي ١٧٩٩ م حتى عام ١٩٦١ م.

إن تتبع الفكر الإسلامي في مسيرته يفجر مفاجأة للغيورين على الأمة مؤداها أن أزمة الأمة وسر تأخرها انحراف مناهج الفكر فيها، الأمر الذي دفع الباحث وغيره إلى إنشاء جمعية علمية تعنى بإصلاح الفكر كانت نواة للمعهد العالمي للفكر الإسلامي في بداية الثمانينات، ومن تعهده الجامعة العالمية بماليزيا باعتبار العملية

التعليمية والتربوية الوسيلة المثلى لتقويم الانحراف، وترشيد المنهج وذلك بتكوين أجيال جديدة تحمل بين ضلوعها هَمّ الأمة بوعي وإدراك.

وقد وقف الباحث في المقدمة أمام التجربة الماليزية بشيء من التفصيل لبيان الأثر. إنها إذن رحلة حياة - صورها الباحث في مقدمته - من مكة إلى القاهرة إلى أمريكا ثم المملكة العربية السعودية ثم ماليزيا ثم التفرغ للتأليف بعد طول انتقال فلابد أن تحط الرحال ويسكن المقام والمؤمن كالغيث حينما حل نفع !!!

إن غياب الرؤية القرآنية يمثل إشكالًا للإنسانية قبل أن يكون قصورًا في الأمة الإسلامية، إذ كيف بها لا تبين كنهها وتصل إلى حقيقتها مع امتلاك كتابها وسنة نبيّها !!!.

إن جهد المتدبر وتعب المتأمل - في كتاب الله المجيد - لا يضيع هباء ولا يذهب سدى، وقد يسر الله قرآنه للذكر فقال ﴿ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴾ [القمر: ١٧] هذا ما قرره الباحث في مقدمته حيث مثَّلت مؤلفاته وتجاربه العملية رصيدًا علميًا ومعرفيًا معينًا على الكشف عن الرؤية الكونية الحضارية القرآنية كأساس للإصلاح الإنساني، والله تعالى الموفق إلى المزيد من التأملات والدراسات عن الرؤية الكونية الحضارية القرآنية وأبعادها المتعددة لتقوم الأمة وتنهض وتأخذ دورها الريادي في تحقيق العدل والإخاء والسلام

وتحت عنوان: «**الرؤية الكونية القرآنية الحضارية**» يرى الباحث أن لكل منظومة حضارية رؤية تناسبها، وهذه الرؤية تفعّل بمنهجية تفكيرية تمثل جوهر الرؤية وطبيعة المنظومة، ويوم تكون الرؤية غامضة والمنهجية والممارسات متناقضة تكون المشكلة المعوقة لتلك الحضارة عن بلوغ أهدافها وغاياتها بل والسبب في تخلفها وخفوقها لما يحدث من تضارب واضطراب بين القيم والأدوات أو بين

الغايات والوسائل.

ويرى الباحث أنه بقدر ما تتمتع به الرؤية الكونية ومنهجيتها الفكرية بمبادئها، من سلامة المنطلقات ووضوح الغايات وتناسق البناء تصبح تلك الرؤية ومنهجية فكرها مصدر قوة الدفع أو سلامة القصد وصمود البناء الاجتماعي للأمة وبلوغ نجاحاتها وإبداعاتها الإنسانية والحضارية.

من هنا تأتي أهمية التصور السليم للرؤية الكونية الحضارية ووجوب بيانه قبل الحديث عن المبادئ ومنهجية التفكير بعامة، إذ الرؤية بمثابة التربة الصالحة التي يتفرع عنها وينبت فيها كل إصلاح إنساني قائم على المبادئ والقيم.

إن فائدة الرؤية تحديد غاية الإنسان وهدفه وعلاقته بالذات والآخر والعالم والكون، ومعرفة مآله، وبمقدار أهمية وضوح الرؤية وسهولة إدراكها تؤدي هدفها في بناء الوعي والتصور (المنهجية) وخطورة غائمية الرؤية في إبعاد الأمة عن أهدافها وغاياتها ومن ثم أدائها وحركتها ووجودها.

إن المتأمل في حال الأمة يرى ضعفًا في الاهتمام العلمي بالرؤية الكلية الكونية الإسلامية وهو ما يمكن أن نطلق عليه «رؤية العالم» وبين هالات الافتخار بالماضي والانبهار بالحاضر تضيع القدرة على إثبات الذات بالقدرة على البناء والابتكار.

إن الحال يفرض ضرورة أن يفيق المثقفون المسلمون لينهضوا بدورهم للتخلص من دواعي القصور والتخلف والتدهور الذي أصاب الأمة وهمَّش دورها، فملف الرؤية أولوية ملحة تفرض نفسها على النظر والعمل العلمي المعاصر، وقبل أن نسأل عن قيم الأمة ومبادئها الخاصة نسأل لماذا غُيِّبت رؤية الأمة ومنظومتها الحضارية؟ ولماذا شوهت وهمشت وتم السكوت على ذلك؟! وكيف تم ذلك التشويه؟.

يقول الباحث: إن الكشف عن السبب والكيفية لما حدث يستوجب الكشف عن إنجازات العهد النبوي والخلافة الراشدة للوقوف على الرؤية الكلية التي تميزت الأمة بها وأبهرت العالم وما زالت تبهره !! إن الفارق كبير بين رؤية الأمة الآن وبين رؤيتها صدر الإسلام، فالرؤية الآن مفجعة تظهر أمة سلبية مهمشة مستهلكة لا تعبر عن نفسها إلا بدعاوى الأمجاد والأحلام والأوهام التي تزيد الأمة أعباء أخرى، إنها أعباء الخطاب الذي يلغي الذات ولا يكشف عن الذوات !!

إنها رؤية سلبية في مكوناتها ونتائجها.. تختلف عن الرؤية الإيجابية الحضارية الإعمارية الممثلة للفطرة المستقيمة، قال تعالى: ﴿ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا ۚ فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ۚ ﴾ [الروم: ٣٠]، وقال ﷺ: «**ما من مولود إلا ويولد على الفطرة...**» الحديث، وقال ﷺ لـ وابصة بن معبد: «**... استفت نفسك ؛ البر ما اطمأن إليه القلب واطمأنت إليه النفس، والإثم ما حاك في القلب وتردد في الصدر وإن أفتاك الناس**» .

لقد هبت رياح الضبابية والدخن فأخفت الرؤية الكلية التي كان عليها الأصحاب وغلبت ثقافة الأعراب وطبيعة الصراع، وكان من أخطر ما أخفى مع الرؤية الحضارية دور المؤسسات التضامنية الإسلامية (كالأسرة والأخوة والجوار والدولة والأمة والمواطنة).

إن سيطرة السياسي على الديني وتوظيف المصالح الاستبدادية عمَّق غياب الرؤية الحضارية ناهيك عن الموروث في الجزيرة العربية من انعزال جغرافي وميول ولائي، وقد عالجت آيات سورة الأنفال وسورة التوبة قصور الرؤية الحضارية عند الأعراب، وضرورة معالجة ذلك القصور بهدى الرسالة وحركة الرسول ﷺ وهو ما يسمى (المنهج).

لقد بدأ غبش الرؤية منذ عهد بني أمية - كما يقول الباحث - وظهور الملك العضوض الذي أزاح رؤية الأصحاب وغلَّب ثقافة الأعراب فكان التشويه التام عندما وصلت الرؤية إلى الأمم الأخرى، بله الواقع الداخلي المليء بالخلل.

لقد انتشرت الأمراض الخطيرة في الأمة وعمَّت الخرافة والشعوذة واختلط الخطاب وانهارت المؤسسات واستشري التفكك بكل أنواعه مما أدى إلى تدهور الأمة وإلهائها بسفسطات عقدية وغيبية لاهوتية وهمية فاستنزفت الطاقات وضعف الإمكانيات في الترف الفكري عن الشأن الحياتي والدور الحضاري، وكان من مظاهر ذلك جدل التعارض بين العقل والنقل والانشغال بالغنوصيات والإسرائيليات... الخ ما ورثت الأمة.

وكان ثالثة الأثافي في تشويه الفكر وانحراف المنهج والصراع الطائفي المذهبي، فأضحت الأمة سنة وشيعة، ومالكية وشافعية وحنفية... إلخ، والحق أنه لا يمكن أن يتعارض نقل صريح مع عقل صحيح، وما أن تسلم المدخلات حتى تسلم المخرجات.. وبصحة المقدمات تصح النتائج.

إن رؤية الوحي القرآنية تعبر عن الفكرة - في أسمى صورها - الإصلاحية المعمرة النافعة المبدعة المعطاءة بلا حدود في إطار الذات الكاملة السوية المستخلفة المؤتمنة المختارة الراشدة العالمة.

إن الفطرة والسنن والواقع الكوني في حقائق موضوعية لا يمكن تخلفها أو تنافرها، وما يحدث في الحياة، إنما هو تعدد الوقائع بتغير الزمان والمكان والوسائل والمطالب.

**الرؤية الإسلامية بين الأصحاب والأعراب:**

يركز الباحث الكريم تحت هذا العنوان على التأكيد أن الرؤية المسلمة لو غلبت لصانت الأمة من الانحراف والتلبيس والتهميش وهذه الرؤية هي رؤية

الأصحاب، أما رؤية الأعراب بطبيعتها القبلية الأنانية التسلطية فشوهت الرؤية وتوهت الأمة.

لقد كانت رؤية الأصحاب قائمة على رؤية القرآن الكريم التي تنطلق من الاستخلاف إلى الإعمار والاكتشاف في إطار من الإبداع والامتناع حتى يأتي وعد الله قال تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَآ أَخَذَتِ ٱلْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَٱزَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَآ أَنَّهُمْ قَـٰدِرُونَ عَلَيْهَآ أَتَىٰهَآ أَمْرُنَا لَيْلًا أَوْ نَهَارًا ...﴾ [يونس: ٢٤].

وفي إطار بناء الرؤية القرآنية - كما يرى الباحث - حافظ النبي ﷺ على ألا ينازع القرآن بشيء ولو من كلامه وهديه ﷺ... فرؤية القرآن لا زمانية ولا مكانية... وتأمل تحرج عمر الفاروق من انتشار الأصحاب في الأمصار وكلهم سمع وتعلم من رسول الله ﷺ.

وإذا ما انتقلتا إلى سير العلماء نجد انحصار جهدهم في فقه الأفراد وأمور الذكر (العبادات) إلا ما كان من رسائل النصح الموجهة للحكام نحو العدل والحكم وهى قليلة.

لقد كان التشيع السياسي والاعتزال الفكري والانحصار الفقهي أسبابًا حقيقية وراء غياب الرؤية القرآنية الحضارية إلى جانب التسلط السياسي وادعاء القداسة لأرباب السياسة.

ولو تأملنا كيف خاطب النبي ﷺ أصحابه وكرمهم وأعزهم وقدر ومواهبهم لأدركنا الفارق الكبير الذي كانت عليه الأمة وما آلت إليه حالها بعد ذلك من انكسار وخوف وسلبية قضت على الذات وطمست الذوات من أجل الأنا الاستبدادية....

**ما الرؤية الكونية القرآنية الحضارية؟**

إنها رؤية توحيدية غائية أخلاقية إعمارية خيرية حضارية علمية سننية تسخيرية تهدف إلي إقامة الفطرة وترشيد الحركة وتحقيق الذات بأبعادها الفردية والجماعية في وسطية واعتدال واعتراف بالأخر مهما كان. قال تعالي: ﴿ مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً ۖ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾ [النحل: ٩٧].

وقال تعالي: ﴿ قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَكُمُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ ۖ فَمَنِ ٱهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِى لِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا ۖ وَمَآ أَنَا۠ عَلَيْكُم بِوَكِيلٍ ﴾ [يونس: ١٠٨] (١).

وتحت عنوان: الأنا والآخر في الرؤية القرآنية الكونية يؤكد الكاتب والمفكر الكريم أهمية عالمية الرؤية والرسالة الموجهة إلي كل ذكر وأنثي أبيض وأسود مؤمن وغير مؤمن نحو تأصيل الانتماء الإنساني البعيد عن العرقية أو الثقافية أو الحضارية القومية، فالإنسان والإنسانية - في منظور الرؤية القرآنية الكونية - كائن وكيان واحد سواسية في الحقوق والواجبات الإنسانية قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ ﴾ [النساء: ١]، وقال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓا۟ ۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ ۚ ... ﴾ [الحجرات: ١٣].

فمهما تمايز الناس واختلفوا في أجناسهم وألوانهم وقدراتهم وطاقاتهم، فإن ذلك لا يعد سبيلًا للتسلط أو الاستعلاء ولكن سبيلًا للتكامل والاكتفاء قال تعالى: ﴿ لِّيَتَّخِذَ بَعْضُهُم بَعْضًا سُخْرِيًّا ۗ ﴾ [الزخرف: ٣٢] والتعاون والإخاء... والتسامح والتناصح، والعدل والرفق والتنوع والتوافق، وآيات الكتاب في ذلك أكثر من أن

(١) اهتم الكاتب ببيان مفردات هذا التعريف في نحو عشرين صفحة راجع ص: ٥٥-٧٠.

تحصي[١]... وأحاديث النبي (ص) خير دليل وسبيل.

وإذا كان حق الآخر غير المؤمن علي نحو ما قرر الكتاب وسنن خير العباد فما ظنك بحق المسلم علي أخيه، ولاء وولاية ونصحًا ومودة وتراحمًا وتكافلًا وبرًا ورحمة[٢].

إن الرؤية القرآنية الكونية هي رؤية سلمية تحقق السلام العالمي والأمان العلمي في ظل الإخاء والنماء والهداية والرشاد للعالمين دون عصبية أو قبلية أو خوارق أو عوائق تحول دون التواصل والتراحم والتكامل والتفاعل. فلا تسلط ولا استعلاء ولا طغيان أو عدوان، ولا دمار ولا انهيار ولا فساد ولا إفساد فالكل واحد يؤكد وحدة الإنسان. وشتان بين شريعة الغاب وشريعة رب الأرباب قال تعالي: ﴿۞ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِيٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَٰهُمْ فِي ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ ..﴾ [الإسراء: ٧٠].

إن الإسلام قارب النجاة ومورد الحياة ليس عنصرية حيوانية ظلامية عدوانية استعلائية وليس أسطورية خيالية إذلالية رهبانية.. وليس مادية عدمية عبثية صراعية.. بل واقعية حياتية روحية متوازنة سوية.

**مبادئ الرؤية الكونية القرآنية:**

إن إدراك كليات الرؤية القرآنية بأبعادها توقف المتدبر أمام مبادئها ومفاهيمها وقيمها التي تمثل المنطلق الأساسي لتلك الرؤية، إذ القيم والمبادئ والمفاهيم أدوات ضبط المنهج وتقويم الذات وتقييم السلوك. وإرشاد الحركة وتحقيق المقصد وتطوير الوسائل ومراعاة المتغيرات في الأحوال والظروف والإمكانات والتحديات،

---

(١) انظر في الكتاب العزيز آيات: (الممتحنة / ٩٠٧) (البقرة: ١٩٤) (النساء: ٩٣) (المائدة: ٨) (النساء:٥٨ ، ١٣٥) (النحل: ٩٠) راجع الكتاب ص: ٧٦ -٨٠.

(٢) انظر الكتاب: ٨٠-٨٢.

وسقوف المعرفة الممتدة المتوسعة.

**وأول** هذه المبادئ ومفتاح النظام الكوني للوجود، التوحيد: محور الفطرة وفهم الذات مبتدأ ومآلا، وسقف المنطق وفهم أبعاد الحياة والوجود والخلود، ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ خَٰلِقُ كُلِّ شَيْءٍ فَٱعْبُدُوهُ..﴾ [الأنعام: ١٠٢] وقال تعالي: ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَا...﴾ [الأنبياء: ٢٢]. وقال تعالي: ﴿مَا ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ مِن وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُۥ مِنْ إِلَٰهٍ إِذًا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَٰهٍۭ بِمَا خَلَقَ..﴾ [المؤمنون: ٩١] إن التوحيد جوهر الفطرة.. وطبيعة الصنعة وحتمية القدرة، وترجمة السببية والتكاملية والغائية والأخلاقية.

**وثاني هذه المبادئ**: الاستخلاف: المجسد لفطرة الإنسان وقدرته علي توفير حاجاته وتلبية خياراته المميزة له عن سائر الكائنات في اتخاذ القرارات وتحمل المسئوليات.

**وثالثهما**: العدل والاعتدال: وهما لب التفاعل الإنساني في مختلف أفعاله وتصرفاته المادية والمعنوية. وكما كان العدل لب الفعل فالاعتدال دليله فلا إسراف ولا إتراف.

قال تعالي: ﴿وَكُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ وَلَا تُسْرِفُوٓا۟ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْرِفِينَ﴾ [الأعراف: ٣١] وقال (ص): ثلاث مهلكات وثلاث منجيات: فالثلاث المهلكات: شح مطاع وهوى متبع وإعجاب المرء بنفسه، وقال: ثلاث منجيات: خشية الله في السر والعلانية، والقصد في الفقر والغني والعدل في الغضب والرضا».

**رابعها**: الحرية: التي هي قدرة إنسانية وطبيعة فطرية وترجمة استخلافية، وسبحان من مكن الإنسان وجعله مختارًا حرًا يطيع ويعصي ويصيب ويخطئ ليكون البلاء والجزاء والمسئولية الاجتماعية وهي خامس المبادئ.

**وسادسها**: الغائية بمعني لزومية المبادئ وبديهية النظام وتكاملية الخلق، ووحدانية الخالق في صفاته وأسمائه جل وعز: ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴾ [الشورى:١١] وما أشأم الحياة إن لم تسلم إلي ثمرة حقيقية وراحة أبدية وجنة علوية عند رب البرية قال تعالي: ﴿ ۞ لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ ۖ .. ﴾ [يونس:٢٦].

**وسابعها**: الأخلاقية السامية الخيرة التي ترشد السلوك وتسمو بالغايات وتحقق الذات، وما النفس اللوامة إلا انعكاس لهذه الأخلاقية.

**وثامنها**: الشورى المحققة للتوأمة بين الفرد والجماعة، الفرد بذاته والجماعة وأدائها قال تعالي: ﴿ وَٱلَّذِينَ ٱسْتَجَابُوا۟ لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴾ [الشورى: ٣٨]. فالشورى ضابطة لجموح الفرد وطغيان الأنا في إرادة إنسانية سوية، ناضجة متوافقة ضامنة لبقاء الحضارات وحرية الاختيارات لذا كانت **الحرية والشورى تاسع** تلك المبادئ.

**وعاشرها**: الشمولية العلمية السننية: إن المنهج العلمي الموضوعي الشمولي المنضبط بالفطرة السوية والرؤية السننية والنظرة الواقعية أبرز مصادر المعرفة الإسلامية بوسائلها الإرادية.

**والحادي عشر**: العالمية بمعنى المرحلية الإنسانية المتلاحمة المتراكمة المتداخلة من البدء وحتى النضج والاكتمال ثم الفناء والزوال، دون عنصرية أو خرافية، فالإسلام للعالمين جميعًا دون هيمنة أو استغلال كما تفعل الأمم المتعالية باسم العولمة.

فالعالمية تقتضي التواصل والتصالح والإخاء والتكافل والتحاور والتجاور.

**وثاني عشر**: السلام المؤكد لوحدة التنوع، ومقتضى العدل بين الناس جميعًا مهما زاد تقسيم العالم وتفصيل العوالم.

**وثالث عشر**: الإصلاح والإعمار المحققان للبقاء وحصول النماء وثمار الاستخلاف في توازن لا جور فيه ولا ظلم، بل عمل ودأب حتى قيام الساعة، قال تعالى: ﴿وَأَحْسِن كَمَآ أَحْسَنَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ ۖ وَلَا تَبْغِ ٱلْفَسَادَ فِى ٱلْأَرْضِ ۖ﴾ [القصص: ٧٧]، وقال ﷺ: «**إن قامت الساعة وبيد أحدكم فسيلة فإن استطاع أن لا تقوم حتى يغرسها فليفعل**».

**ورابع عشر**: الجمال بين الحقيقة والخيال: فكما كان الله جميلًا حبب لخلقه الجمال وكما أنه بديع السماوات والأرض طلب من الإنسان أن يترك الجمال عليها بمزيد من الجهد، فالجمال متعة إبداعية وفطرة إنسانية وحقيقة كونية، ورغبة نفسية فقد كان النبي ﷺ يُروِّح عن نفسه وعن زوجاته، والله تعالى يحب أن يرى أثر نعمته على عبده في توازن واعتدال والله جميل يحب الجمال !! تحت عنوان:

**الرؤية القرآنية الكونية الأساس والمنطلق والدافع للإصلاح والإعمار**:

يؤكد أهمية العودة إلى مبتدأ العهد النبوي والراشد والغاية التي تحققت والأثر الذي ترك، ولا تتأثر بمادية الحضارة الغربية الحديثة رغم تطورها فهي قد تخلت عن دينها ورأت أنه قد استنفذ أغراضه، وما علينا إلا أن نؤمن بالفارق الكبير بين رؤية القرآن الحضارية، ورؤية الحضارة الغربية القائمة على العنصرية السلطوية، وغياب الوعي الأخلاقي، الذي لا يعمل بقيمة إلا بمقدار ما تؤكد عنصريته وظلمه ونوازعه الأمارة بالسوء، فالغرب لا يؤمن إلا بقانون «الحق للقوة»، وسوف تزول ويرث الأرض عباد الله الصالحين.

إن حضارة الغرب وإن قامت على العلمية والسننية إلا أنها إلى بوار بسبب غياب الفطرة الإنسانية وتغليب النزعة الطينية الحيوانية، وما علينا إلا أن نقوم بدورنا الإصلاحي، والمهمة الإصلاحية مهمة المفكرين والمصلحين.

وتحت عنوان: الرؤية الكونية الحضارية والمفاهيم الإنسانية الأخلاقية، يقدم

الباحث مقارنة بين ما زخر به التراث وما تجردت منه الحياة المعاصرة من تفاوت كبير بين القيم والمفاهيم الأخلاقية التي سادت ثم غابت بسيطرة فكر التقوقع والسلبية واللامبالاة.

وذلك أثر طبيعي لغياب الرؤية الكونية الحضارية وتشوه صورتها، والأمر يحتاج إعادة الرؤية وغرس المفاهيم في مراحلنا التربوية ومؤسساتنا العلمية، لنصنع حياة إيجابية جديدة.

إن وضوح الرؤية ضرورة لتفعيل المبادئ والمفاهيم الحضارية، وبدلًا من سيادة السلطان والنفوذ المادي والنفعي، تسود الرؤية الحضارية الإعمارية القائمة على الخيرية الروحية والموضوعية العلمية السننية التي تعد الأساس والقاعدة لانطلاق الأمة من عقالها وقيودها.

إن وراء الرؤية الحضارية والمفاهيم الإنسانية إنجاز وارتقاء مَثَّله جيل الأصحاب بإبداع وإمتاع مازلنا نشهد آثاره وإدراره ولن تعود للأمة عافيتها إلا باستلهام التجربة واستيعاب المسيرة، بعيدًا عن ثقافة الأعراب وموروثات الإسرائيليات والخضوع للخرافات والوثنيات أو التوهمات والعنصريات المشوهات.

لقد حان وقت اعتماد المرجعية القرآنية والسيرة النبوية لإزالة الجمود والتكلس والركود واستعادة الدافعية بالطرق العلمية المنهجية وبالرؤية الكونية القرآنية التي توجه الأسرة والمدرسة والمعهد والجامعة نحو الصلاح والإصلاح للأجيال المسلمة.

وبدلًا من أن يكون التعليم عمليات استهلاكية يتحول إلى وسائل حركية إبداعية إنتاجية كشفية وبإصلاح المعلم يكون صلاح المتعلم، وبصلاح الفكر يعلو الذكر.

لقد آن الأوان - كما يقول الكاتب - لأن نأخذ أنفسنا بالجدية اللائقة بها، لنبني مجتمع الأمة بمنظور الرؤية القرآنية الحضارية، وهو ممكن متى تضافرت جهود المفكرين والمثقفين والمصلحين التربويين ومن جد وجد ومن زرع حصد ومن سار على الدرب وصل.

وأخيرًا يختم الباحث عرضه ببيان كيفية بناء العلوم الاجتماعية الإسلامية وتحقق الرؤية الإسلامية باعتبار ذلك وجها لإسلامية المعرفة الباحثة عن علاج لحوار الطرشان بين علماء التراث وعلماء الاجتماع.

ويبدأ محاولته بتحديد ماهية العلوم التراثية الإسلامية ودورها المدرسي، ثم بيان طبيعة العلوم الاجتماعية المعاصرة وأهميتها حديثًا مع قيامها على عالم المادة ولو كانت الأمة في مكانتها اللائقة لغيرت مسيرة البشرية بنور الوحي.

ويقرر الباحث الكريم ما يعتزم المعهد العالمي عمله في مجال التأليف والتدريب الأكاديمي للنهوض بالعلوم الاجتماعية الإسلامية، فقدم خطة المعهد لذلك وأجزاءه المرحلية المنهجية.(١)

وفي كلمة أخيرة يُذَكِّر الباحث الكريم الأساتذة والجامعين والكتاب والمفكرين بترجمة أفكارهم وآرائهم إلى ممارسات حياتية وآليات عملية تخدم الحياة الاجتماعية بجوانبها المختلفة، وإلا أصبح النتاج الفكري فذلكات وإنشائيات لا أثر لها ولا ثمر.

لقد كانت الدراسة محاولة جادة في إصلاح الفكر وتفعيل العمل، ودعوة جادة لكل مفكر ومصلح ومختص للقيام بالدور الذي تحتاجه الأمة، لذا ختمها الباحث بملاحق ثلاثة جمع فيها محاولات الإصلاح، ومقالة عن توضيح الأساس الفعلي

(١) انظر الكتاب ص: ٢٠٢ -٢٠٦.

للإيمان وما يستتبعه من كليات ترسى اليقين في رؤيته وتصوره وفي الملحق الأخير قائمة بأبرز المؤلفات الخاصة بالمؤلف المُعينة على استكمال جوانب الفائدة من البحث.

**ثانيا: الرؤية التحليلية النقدية: ـ**

إن الرؤية التحليلية النقدية لهذا البحث القيم تقف على مجموعة من الميزات الجمة والتي أبرزها:

[١] سعة الاطلاع وعمق الفكرة لدى الكاتب الكريم في طرحه لموضوعه وانشغاله بالتأكيد على تصوره لأهمية الرؤية القرآنية الحضارية الغائبة عن واقعنا وحركتنا.

[٢] الجمع بين النصوص القرآنية والأحاديث النبوية والآثار التاريخية والقدرة على المزج بينها لتأكيد النظر بصريح العمل وقد كان ذلك ماثلًا في أكثر من موضع بالكتاب.

[٣] ما اتسم به الكاتب من قدرة تحليلية لأحداث الأمة التاريخية ومسارها الفكري وواقعها السياسي بشكله الاستبدادي، والذي أسهم بفاعلية في تغييب الرؤية الحضارية القرآنية وتشويه صورة المنهجية القرآنية، وتنحية الاهتمام بالشأن العام عن فكر وعمل العلماء كي تسلم الساحة من رافض أو معارض.

[٤] التنازل الدقيق لآثار الرؤية السلبية التي ورثتها الأمة بفعل الاستبداد وسيادة الأعراب على الرؤية الإيجابية التي تكونت في العهد النبوي والخلافة الراشدة ومثلت رؤية الأصحاب التي بهرت العقول وفتحت القلوب لهذا الدين، قبل أن ينحدر التصور بداية من ملك بني أمية ومن بعدهم...

[٥] التأكيد على أسباب الانحراف الفكري والإلهاء العلمي بالمنطق الصوري والسفسطات العقدية والغيبة الوهمية، وانتشار أمراض الشعوذة والخرافة، واختلاط الخطاب وانهيار المؤسسات وغلبة الصراعات المذهبية والكلامية التي

أذهبت ريح الأمة وشغلتها عن غايتها وهدفها في هداية البشرية بالرؤية القرآنية، وهذا ما أكده الباحث في معرض حديثه عن سر غياب الرؤية القرآنية الكونية الحضارية، باشتعال نار الخلافات ومنها تعارض العقل مع النقل... الخ.

[٦] براعة الكاتب والمفكر الجليل في إبراز الرؤية الكونية الكلية من خلال القرآن الكريم وهو ما قام به في سياق إجابته عن ماهية الرؤية ص: ٥٤ من الكتاب.

[٧] مساهمة الباحث في حل إشكالية الصراع التي ولدتها الفلسفات الأرضية النفعية، وذاك عندما تناول الرؤية القرآنية للأنا والآخر، وكيف احتوت الرسالة الإسلامية الخاتمة من المبادئ الإنسانية ما يزيل الصراع ويصنع الوفاق بين بني الإنسان بمعاني السلام والوئام.

[٨] لقد أجاد الكاتب وأفاد في طرحه وعرضه لمبادئ الرؤية الكونية القرآنية والتي تشمل التوحيد والإصلاح والاستخلاف والعدل والعالمية والسلام والجمال والذي يجمع بين الحلال والكمال.

[٩] لقد كان الباحث موقفًا في قدرته على الطرح الذي يجمع بين النظرية والتطبيق ليأخذ بالأمة نحو النهوض من الركود والجمود، فله الأجر الجزيل والثواب العظيم.

لكن لما كانت الأعمال البشرية لا تخلو من هنات وهفوات فقد رأت الرؤية النقدية لهذا البحث أن تقف على عدة أمور لو توفرت للبحث لكان أجدى وأنفع ومن ذلك ما يلي: -

**أولا**: فقدان البحث للتبويب والتنسيق العلمي، ليخرج في فصول أو مباحث أفضل من خروجه في عناوين متوالية يمكن تقديم بعضها على البعض بالصورة الحالية.

**ثانيا**: التركيز على أن الحقب التاريخية بعد عهد النبوة وصدر الخلافة الراشدة (على أبي بكر وعمر) لم تحمل للمسلمين غير الأزمات والكوارث السياسية والفكرية والاجتماعية، مع أن مظاهر الحضارة الإسلامية في غالبها الأعم لم يظهر إلا في تلك الحقب، وفارق كبير بين سلوك الساسة وسلوك الأمة، فالأمة كانت رغم الاستبداد السياسي لها من العافية ما يعينها على الريادة والسيادة. وسنة التداول تنفي وتبدد، ولا يبقى إلا الأصلح والأصوب، كما أن التنوع المذهبي - بعيدًا عن الشيعة - داخل المذاهب السنية كان تنوعًا مقبولًا يحقق السعة والرحمة لا المشقة والأزمة، وليس المتشددون المغصوبون كل من على الساحة.

**ثالثا**: غلبة التحليل على التقرير غَيَّب كثيرًا من الأفكار ونقاط الاعتبار في البحث ويبدو أن الروح النقدية الثائرة - التي يتحلى بها الباحث الكريم - تفرض عليه آلامه وأوجاعه فلا يكاد يقرر حقيقة حتى ينهض بتحليل الأفكار والشواهد مع الإكثار منها، الأمر الذي يشتت القارئ ولا يعينه على استنباط الفكرة المباشرة.

**رابعا**: الاستغراق في الاستدلال والغوص في التصورات الفلسفية العقلية أدى إلى الإبهام - في كثير من الأحيان - وحال دون الإفهام، ومع وضوح الفكرة أحيانا - إذا بالكاتب الكريم يأخذ القارئ في غمار الفكر ليخرج من فكرته إلى فكرة أخرى، نأمل هامش (١) صـ١٥٣ والممتد إلى صـ ١٥٩.

**خامسا**: الإلحاح الدائم على الأفكار أحدث نوعًا من التكرار في كثير من الحوار الفكري الخاص بالمبادئ المترجمة للرؤية القرآنية في تصور الباحث، راجع الكتاب صـ ١١٥- حتى صـ١٧٨ لترى أن الباحث في سبيل تأكيده على ترابط المبادئ يكرر أفكاره كثيرًا في إملال، وقد كانت الإشارة تكفي عن العبارة.

**وأخيرًا** يحسب للباحث الكريم تصوره الفكري وعرضه المنهجي واعتماده منهجية الاستقراء والتدبر في مسألة قلما تجد من يتصدر لها وينتبه إليها، ودراسته

بحق إضافة نوعية في بيان دور الرؤية القرآنية ومبادئها الإصلاحية في توجيه الأمة حديثًا نحو النهوض بدورها بكافة المتخصصين فيها من مفكرين وجامعيين وتربويين ومثقفين، ونفع الله به وأمد في عمره وأجزل له العطاء والجزاء.

*****

obeikan.com